أموالِهِمْ، وكنتُ امرَأً مسكيناً ألزَمَ رسولَ الله ﷺ على مَلْءِ بَطْني، فأحضر حين يغيبون، وأعي[1] حين يَنْسَوْنَ، وقال النبيّ ﷺ يوماً: «لَنْ يَبْسُطَ أحدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتّى أَقْضِيَ مقالتي هٰذِهِ، ثم يجمعهُ إلى صَدْرِهِ، فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شيئاً أبداً» فبسطتُ نمرةً ليس عليَّ ثوبٌ غيرها حتى قضى النبيّ ﷺ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحقّ! ما نسيتُ من مقالته تلك إلى يومي هذا. والله! لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ إلى ﴿الرَّحِيمُ﴾[2].

وأخرج البخاري أيضاً عن أبي هريرة قال: إنّ الناسَ كانوا يقولون: أكثرَ أبو هريرة!! وإني كنتُ ألزَمُ رسولَ الله ﷺ لشبع بطني، حين لا آكلُ الخميرَ[3]، ولا ألبسُ الحريرَ، ولا يخدمني فلانٌ وفلانةٌ، وكنتُ ألصِقُ بطني بالحَصْباءِ مِنَ الجُوعِ، وإنْ كُنتُ لأَسْتَقْرِي الرَّجُلَ الآية هي معي لكي يَنْقَلِبَ بي فَيُطْعِمَني، وكان خير الناس للمساكين جعفرُ بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إنْ كانَ لَيُخْرِجُ إلينا العُكَّةَ[4] التي لَيس فيها شيء فَنَشُقُّها فَنَلْعَقُ ما فيها. كذا في الترغيب (٥/ ١٧٥).

حقيقة العلم وما الذي يقع عليه اسم العلم مطلقاً

ما روي عنه عليه السلام في حقيقة العلم

أخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ (به) مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضاً، فَكَانَتْ مِنها طائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الماءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ. وكانَتْ منها أجادِبُ[5] أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا. وأصابَ مِنها طائِفَةً أُخْرَى إنّما هي قِيعانٌ[6] لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً؛ فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللّهِ وَنَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْساً ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ». كذا في المشكاة (ص ٢٠). وأخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللّهُ في أُمَّتِهِ

---

(١) «أعي»: أحفظ.

(٢) [٢/ سورة البقرة/ ١٥٩ و١٦٠].

(٣) «الخميرة»: هو العجين المختمر «تاج» مادة (خمر).

(٤) «العكة»: وعاء السمن أو العسل.

(٥) «الأجادب»: صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعاً، وقيل: هي الأرض التي لا نبات بها، مأخوذ من الجدب وهو القحط كأنه جمع أجدُب، وأجدب جمع جدْب مثل كلب وأكلب وأكالب.

(٦) «قيعان»: جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع.

قَبْلِي إلاّ كانَ لَهُ في أُمّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصحابٌ يأخُذُونَ بِسُنّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأمْرِهِ، ثم إنها تخلف مِنْ بَعْدِهِم خُلُوفٌ[1]، يقولونَ ما لا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ ما لا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جاهَدَهُمْ بِلِسانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُم بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلكَ مِنَ الإيمانِ حَبّةُ خَرْدَلٍ». كذا في المشكاة (ص ٢١).

وأخرج أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «العلمُ ثلاثةٌ: آيةٌ مُحكَمَةٌ، أَوْ سُنّةٌ قائِمَةٌ، أوْ فَرِيضَةٌ عادِلَةٌ؛ وما كانَ سِوَى ذلكَ فَهُوَ فَضْلٌ». كذا في المشكاة (ص ٢٧). وأخرجه ابن عبد البرّ في جامع بيان العلم (٢/ ٢٣) نحوه. وعنده أيضاً (٢/ ٢٤) عن عمرو بن عوف رضي الله عنه مرفوعاً: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما: كتابَ اللّهِ، وَسُنّةَ نَبِيِّهِ ﷺ». وأخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ النبيَّ ﷺ دخلَ المسجدَ فرأى جمعاً من الناس على رجل فقال: «وما هٰذا؟» قالوا: يا رسولَ الله! رَجُلٌ علاّمة، قال: «وما الملاّمَةُ؟» قالوا: أعلمُ النّاسِ بأنسابِ العَرَبِ، وأعلم الناس بِعَرَبِيّةٍ وأعلَمُ النّاس بشعرٍ وَأعْلَمُ النّاسِ بما اختلفَ فيه العَرَبُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «هٰذا علمٌ لا يَنْفَعُ وَجَهْلٌ لا يَضُرُّ».

قول ابن عمر وابن عباس في حقيقة العلم

وأخرج ابن عبد البرّ في جامعه (٢/ ٢٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: العلمُ ثلاثة أشياء: كتابٌ ناطق، وسنّةٌ ماضية، ولا أدري. وعنده أيضاً (٢/ ٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنّما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن قال بعد ذلك شيئاً برأيه فما أدري أفي حسناته يجده أم في سيئاته.

وأخرج ابن عساكر بسند حسن عن مجاهد قال: بينا نحنُ جلوسٌ أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما عطاء، وطاووس، وعكرمة، إذ جاء رجلٌ وابن عباس قائم يُصَلّي فقالَ: هَلْ مِنْ مُفْتٍ؟ فقلتُ: مَهْ، فقالَ: إني كلما بُلْتُ تبعه الماء الدّافق[2]، فقلنا: الذي يكونُ منه الولد؟ قال: نَعَمْ، فَقُلْنا: عليكَ الغُسْل، فولّى الرَّجُلُ وهو يَرْجِعُ[3]، وَعَجِلَ ابن عباس في صلاته فلما سلّم قال: يا عكرمة عليّ بالرجل، فأتاه به، ثم أقبلَ علينا فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرَّجُلَ عَنْ كتاب الله؟ قلنا: لا، قال: فمن سُنّةِ رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا،

---

(١) «خلوف»: جمع خَلْف ومعناه كل من يجيء بعد مَنْ مضى. «النهاية» (٢/ ٦٥).

(٢) «الماء الدافق»: أي المنيّ وأحسبه ذهب إلى قوله تعالى: ﴿خلق من ماء دافق﴾ [٨٦/ سورة الطارق/ ٦].

(٣) أي يقول: ﴿إنّا لله وإنا إليه راجعون﴾ [٢/ سورة البقرة/ ١٥٦].

قال: فَمَنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ؟ قلنا: لا، قال: فَمَنْ مَنْ؟ قلنا: عَنْ رأينا، فقال: لذلكَ يقول رسول الله ﷺ: «فَقِيهٌ واحِدٌ أشدُّ على الشَّيطانِ مِنْ أَلْفِ عابِدٍ» ثم أقبل على الرَّجُلِ فقالَ: أرأيتَ إذا كان منك هَلْ تَجدُ شهوة في قَلْبِكَ؟ قال: لا، قال: فَهَلْ تجدُ خَدَراً[1] في جَسَدِكَ؟ قال: لا، قال: إنّما هذا بردة يجزيكَ منه الوضوء. كذا في كنز العمال (٥/ ١١٨).

الإنكار والتشديد على من اشتغل في علم آخر غير ما جاء به النبيّ ﷺ

إنكاره عليه السلام على قوم فِعْل ذلك

أخرج ابن عبد البرّ في جامع بيان العلم (٢/ ٤٠) عن عمرو بن يحيى بن جعدة قال: أُتِيَ النبيّ ﷺ بكتاب في كتف[2] فقال: «كَفَى بِقَوْمٍ حُمْقاً ـ أو ضَلالَةً ـ أنْ يَرْغَبُوا عمّا جاءهم بهِ نَبِيُّهُمْ إلى نَبِيٍّ غير نَبِيِّهِمْ، أو كتابٍ غَيرِ كِتابِهِمْ» فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِم أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾[3].

إنكار عمر على من نسخ كتاب دانيال وقصته مع النبي في هذا الأمر

وأخرج أبو يعلى عن خالد بن عُرْفُطة قال: كنتُ جالساً عند عمر رضي الله عنه إذ أُتي برجل من عبد القيس مَسْكنه بالسُّوسِ[4]، فقال له عمر: أنتَ فلان بن فلان العبديّ؟ قال: نعم، فضربه بعصاً معه، فقال الرجل: ما لي يا أميرَ المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس، فَجَلَسَ فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[5] فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً، فقال الرجل: ما لي يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: أنتَ الذي نسختَ كُتُبَ دانيال، قال: مُرني بأمْرِكَ أتّبعهُ، قال: انطلقْ فامْحُهُ بالحميم[6] والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه أنت ولا تُقْرِئْهُ أحداً من الناس، فَلَئِنْ بلغني

---

(١) «خدراً»: أي فتوراً.

(٢) «الكتف»: عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدوابّ، كانوا يكتبون فيه لقلّة القراطيس. «النهاية» (٤/ ١٥٠).

(٣) [٢٩/ سورة العنكبوت/ ٥١].

(٤) «السوس»: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبيّ عليه السلام «معجم البلدان» (٣/ ٢٨٠).

(٥) [١٢/ سورة يوسف/ ١ ـ ٣].

(٦) «الحميم»: الماء الحارّ. «النهاية» (١/ ٤٤٥).